

الدرس الثامن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح والسامعين:

فإن قال إنهم لم يكفروا بدعاء الملائكة والأنبياء، وإنما كفروا لما قالوا الملائكة بنات الله، ونحن لم نقل إن عبد القادر ولا غيره ابن الله، فالجواب: أن نسبة الولد إلى الله تعالى كفرٌ مستقل، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) الله الصمد ﴿[الإخلاص: ١-٢] والأحد: الذي لا نظير له ، والصمد: المقصود في الحوائج؛ فمن جحد هذا فقد كفر ولو لم يجحد آخر السورة، ثم قال تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣] فمن جحد هذا فقد كفر ولو لم يجحد أول السورة. وقال الله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا ذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١] ففرّق بين النوعين وجعل كلاً منهما كفراً مستقلاً ، وقال الله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠] ففرّق بين الكافرين . والدليل على هذا أيضاً: أن الذين كفروا بدعاء اللات مع كونه رجالاً صالحاً لم يجعلوه ابن الله، والذين كفروا بعبادة الجن لم يجعلوهم كذلك، وكذلك العلماء أيضاً وجميع المذاهب الأربعة يذكرون في باب حكم المرتد أن المسلم إذا زعم أن لله ولداً فهو مرتد، وإن أشرك بالله فهو مرتد، فيفرّقون بين النوعين، وهذا في غاية الوضوح. وإن قال: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فقل: هذا هو الحق ولكن لا يُعبدون، ونحن لا ننكر إلا عبادتهم مع الله وإشراكهم معه، وإلا فالواجب عليك حبهم واتباعهم والإقرار بكراماتهم، ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلالات، ودين الله وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين .

ثم ذكر الشيخ رحمه الله تعالى الإمام محمد بن عبد الوهاب هذه الشبهة التي يثيرها المشبه؛ والمراد بالمشبه: أي الذي يثير الشبهات التي يناقض بها التوحيد ويخالف بها الحق والهدى.

قال: «فإن قال: إنهم لم يكفروا بدعاء الملائكة والأنبياء وإنما كفروا لما قالوا الملائكة بنات الله» إن قال أي المشبه الذي يبرر لأعماله الشركية وأفعاله الكفرية ويقرر أن ما يعمل من الشرك لا تنزل عليه أي القرآن التي نزلت

في ذم المشركين؛ بحمله شرك المشركين وتكفير الله تبارك وتعالى لهم لأنهم ادَّعوا لله الولد وأن الملائكة بنات الله، وأن الله سبحانه وتعالى إنما كفرهم بذلك، ولهذا ربما يقول بعضهم: إنهم -أي المشركون الأول- لم يكفروا بدعاء الملائكة والأنبياء، أي لم يكن كفرهم وشركهم لكونهم دعوا الملائكة والأنبياء ، وإنما كفروا لما قالوا الملائكة بنات الله . و«إنما» هذه من أدوات الحصر، وقوله: «إنما كفروا لما قالوا الملائكة بنات الله» حصر بكلامه هذا الكفر في هذا الجانب وحده، وهو أن الذي يكفر إنما هو من يدَّعي لله الولد، أو يقول الملائكة بنات الله، أو عزيز ابن الله، أو المسيح ابن الله.

قال: «وإنما كفروا -أي المشركون الأول- لما قالوا الملائكة بنات الله» أي هذا هو الأمر الذي كفروا به، ونحن لم نقل ذلك.

قال: «ونحن لم نقل أن عبد القادر ولا غيره ابنٌ لله»؛ قال: "لم نقل أن عبد القادر" لأنهم يعبدون عبد القادر ، المراد بعبد القادر: الجيلائي؛ يعبدونه ويدبحون له وينذرون ويستغيثون به وإليه يلتجئون في الملمات والحاجات والنوازل والطلبات ، فيقول : نحن لم نقل أن عبد القادر ولا غيره أي من الأولياء والصالحين ومن ندعوهم من دون الله؛ لم نقل أنهم أبناء الله. فإذا يعني مرادهم بذلك أن الآيات التي نزلت في ذم المشركين وتقبيح أفعالهم وصنائعهم لا تنزل علينا، لأن المشركين يقولون بأن الملائكة بنات الله، ونحن لا نقول ذلك فيمن ندعوهم أو نسألهم. فهذه شبهة ربما أثارها بعض المشبهة من هؤلاء؛ فما الجواب؟

قال رحمه الله: «فالجواب» ؛ وأجاب عن هذه الشبهة بأربعة أجوبة مسددة، كل واحد منها كافٍ في كشف هذه الشبهة وبيان بطلانها:

الوجه الأول أو الجواب الأول قال: «أن نسبة الولد إلى الله تعالى كفرٌ مستقل» أي هذا بحد ذاته كفر مستقل، والكفر أنواع ، وأفراد الكفر كثيرة، ومن قال إن لله ولدًا سواء الملائكة أو عزيزًا أو عيسى أو غير هؤلاء، هذا بحد ذاته كفر بالله.

قال: «أن نسبة الولد إلى الله تعالى كفر مستقل؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿ وَالْأَحَدُ: الذي لا نظير له»؛ الأحَد: أي المَتموحد بصفات الجمال ونعوت الكمال، فليس له شبيه ولا مثال.

«والصمد: المقصود في الحوائج» أي الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها وطلباتها؛ فتفزع إليه وتبتهل إليه وتلتجئ إليه.

«فمن جحد هذا فقد كفر» أي من جحد أن الله أحد صمد فقد كفر «ولو لم يجحد آخر السورة» وهو قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (٣) ولم يكن له كُهوًا أَحَدٌ ﴿ ؛ فمن جحد هذا فقد كفر ولو لم يجحد آخر السورة .

«ثم قال -أي الله جلّ وعلا- ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ فمن جحد هذا فقد كفر ولو لم يجحد أول السورة؛ إذّا من جحد أول السورة أن الله أحد صمد فهذا كفر مستقل ، ومن جحد آخر السورة: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ هذا كفر مستقل ، وهذا فيه نقضٌ لدعوى هؤلاء أن الكفر إنما هو في ادّعاء الولد ونسبة الولد إلى الله والقول بأن الملائكة بنات الله. فالشيخ يقول: من جحد أول السورة الأحد الصمد، وأثبت آخرها لم يلد ولم يولد، يكون بذلك كافراً مع أنه لم ينسب الولد إلى الله تبارك وتعالى؛ فهذا تقريرٌ منه رحمه الله في رد هذه الشبهة ببيان أن نسبة الولد إلى الله تبارك وتعالى هذا بحد ذاته كفرٌ مستقل، وما جاء في أول السورة أيضاً كفرٌ مستقل . هذا الجواب الأول.

الجواب الثاني على هذه الشبهة؛ قال: «وقال الله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]» ذكر الله عزّ وجل شيئين نفاهما ونزه نفسه عنهما جلّ وعزّ؛ قال: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ ومن ادعى الله الولد فقد كفر ، ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ ومن ادعى أن مع الله إله آخر فقد كفر؛ وهذا فيه إبطال لدعوى هذا المدعي بأن الكفر إنما هو في ادعاء الولد ، لأن الله ذكر شيئين أو نوعين فرّق بينهما.

«قال: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ ففرق بين النوعين وجعل كلا منهما كفراً مستقلاً» فرّق بين النوعين، فرّق بين ادّعاء الولد أن الله اتخذ ولداً ، وبين ادّعاء أن الله معه إله آخر؛ فهذان أمران فرق الله سبحانه وتعالى بينهما، وهذا فيه بيان لبطلان دعوى من ادعى أن الكفر إنما هو في ادعاء اتخاذ الله جلّ وعلا الولد.

«وقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، ففرق بين الكافرين؛ فرق بين نسبة الولد إلى الله جلّ وعلا، وأيضاً ادّعاء أن مع الله جلّ وعلا شريكاً.

■ فإذا الوجه الأول الذي ذكره الشيخ رحمه الله وقرره هو : بيان أن ادعاء الولد هذا كفر مستقل.

■ الوجه الثاني: أن الله عزّ وجلّ في عدد من آي القرآن فرّق بين الأمرين: اتخاذ الشركاء مع الله يُدْعَوْنَ وَيَسْتَعِثُّ بِهِمْ وَيُذَبِّحُ لَهُمْ وَيَنْذِرُ لَهُمْ، وبين نسبة الولد إلى الله سبحانه وتعالى، ومثّل على ذلك بآيتين؛ الأولى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] ففرّق فيها بين الأمرين، والثانية: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾ هذا نوع من الكفر، ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٠] هذا نوع آخر من الكفر فرّق الله عزّ وجلّ بينه وبين النوع الأول. فهذا الجواب الثاني على هذه الشبهة.

الجواب الثالث؛ قال رحمه الله : «والدليل على هذا أيضاً أن الذين كفروا بدعاء اللات مع كونه رجلاً صالحاً لم يجعلوه ابن الله» ؛ الله جلّ وعلا كفّر الذين دعوا اللات وغيره مع الله ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ

الأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴿[النجم: ١٩-٢٢]﴾، فهؤلاء الذين عبدوا اللات من دون الله، واللات رجلٌ كان معروفاً بالبذل والإحسان والصدقة، كان يلتُ العجين للحجاج ويحرص على إكرامهم واستضافتهم والإحسان إليهم، فلما مات صنعوا له حجراً، وقيل نفس الحجر الذي كان يلتُ عليه السويق عبدوه من دون الله، فقول القائل: إنما كفر أولئك بكونهم نسبوا الولد إلى الله وقالوا الملائكة بنات الله؛ هل هؤلاء الذين كفّهم الله عزّ وجل بعبادة اللات ادّعوا أن اللات ابنُ الله؟ أبداً ما قالوا ذلك، لكن كفّهم الله لأنهم عبدوه مع الله، وصرفوا له ما لا يُصرف إلا لله سبحانه وتعالى .

فهذا وجه ثالث في الجواب على هذه الشبهة، قال: «أن الذين كفروا بدعاء اللات مع كونه رجالاً صالحاً لم يجعلوه ابناً لله والذين كفروا بعبادة الجن لم يجعلوهم كذلك» أي ابناً أو أبناء لله .

الوجه الرابع في الجواب على هذه الشبهة قال: «وكذلك العلماء أيضاً، وجميع المذاهب الأربعة يذكرون في باب حكم المرتد أن المسلم إذا زعم أن لله ولداً فهو مرتد» ؛ يعني مما يرتد به من كان مسلماً ادّعاء أن الولد لله .
«وإن أشرك بالله فهو مرتد، فيفترقون بين النوعين» يعني من ادّعى لله الولد ارتد بذلك ، ومن أشرك مع الله غيره ارتد بذلك ، ومن أعطى غير الله من خصائص الله عزّ وجل في ربوبيته أو أسمائه وصفاته ارتد بذلك ، ومن سب الله أو دينه أو نبيه عليه الصلاة والسلام ارتد بذلك ؛ يذكرون أموراً كثيرة يرتد بها الإنسان وينتقض بها إسلامه ، ولم يحصروها في دعوى اتخاذ الله الولد.

فهذه وجوه أربعة ذكرها رحمه الله تعالى في إبطال هذه الشبهة، قال: «وهذا في غاية الوضوح» أي أن وضوحه وضوحاً بيّناً في إبطال هذه الشبهة وكشف زيفها.

قال: «وإن قال» ؛ وهذا أمر آخر . انتهى الجواب على الشبهة الأولى.

قال: «وإن قال: ﴿الْإِنِّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾» إذا تلا هذه الآية مستدلاً بتلاوته لها على أن الآية تدل على أن للأولياء مكانة عند الله ومنزلة ، وهذا كافٍ في تسويغ اللجوء إليهم والالتجاء إليهم ودعائهم لمكانتهم العظيمة عند الله ومنزلتهم العلية ، وربما أيضاً قالوا : أتذكرون فضل الأولياء ومكانة الأولياء وقدر الأولياء وجاه الأولياء؟ فهذه الآية مما يستدلون بها ويتلوونها في تقرير الشرك والعياذ بالله ؛ وأعظم به من إثم أن يتلى كلام الله جلّ وعلا ليقرّر به الشرك، أن يتلى كلام الله تبارك وتعالى ليستدل به على الشرك الذي هو أظلم الظلم وأكبر الموبقات.

قال: «وإن قال: ﴿الْإِنِّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فقل هذا هو الحق» ؛ هذا هو الحق، من المسلم الذي يُنكر فضل الأولياء ومكانة الأولياء!! هذا حق، أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؛ نفى

عنهم الخوف والحزن، وإذا جُمع بين الخوف والحزن في موضع واحد؛ كان تعلق الحزن في الأشياء الماضية ، والخوف في الأمور المستقبلية، يعني لا حُزن عليهم فيما فارقوه ، ولا خوف عليهم مما هم ملاقوه.

قال: ﴿الْإِنِّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿[يونس: ٦٢-٦٣]﴾؛ ولهذا قال شيخ الاسلام استدلالاً بهذه الآية الكريمة: «من كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً» ؛ أي أن ولاية الله عز وجل إنما تُنال بالإيمان والتقوى . والإيمان والتقوى إذا جُمع بينهما؛ فإن المراد بالإيمان: فعل الأوامر والطاعات والقيام بالعبادات، والتقوى: اجتناب النواهي والمحرمات. فالإيمان يتناول التوحيد والإقرار بأمور الإيمان، وأيضاً يتناول فعل الطاعات، والتقوى تتناول اجتناب النواهي والمحرمات. فدلّت الآية أن أولياء الله هم أهل الإيمان والتقوى؛ الذين يطيعون الله بفعل أوامره ، ويتقون ما نهاهم عنه وحرّمه عليهم سبحانه وتعالى .

ولما كان عند القوم انحرافٌ في هذا الباب وشَطَطٌ فيه؛ أصبحت الولاية تطلق على من لا يُعرَف لا بإيمان ولا بتقوى، تطلق على من يضيّع الأوامر ويرتكب المحرمات، ويُدعى فيه أنه من أولياء الله!! وكل هذا الباطل -أعني ترك الأوامر وفعل المحرمات- أُطلق على أصحابه أنهم أولياء الله زعمًا أن هذا الترك هو من كراماتهم! وهذا من أعجب العجب، يمارسون فعل المحرم وترك الطاعة تحت باب الكرامة؛ وهذا قد يعجب له من يسمعه، لكن مثلاً -والأمثلة على ذلك في واقعهم كثيرة- مثلاً في باب ترك العبادة يقولون: "الولي مكانته وكرامته عند الله ألا يطوف بالبيت بل البيت هو الذي يطوف به" ، وهذا مقرر في كثير من كتب هؤلاء، حتى كتب لأناس معاصرين، يقولون الكعبة هي التي تطوف به، كرامته ومكانته عند الله الكعبة هي التي تطوف به، ولا يطوف بالبيت، سيد الأولياء وسيّد ولد آدم طاف مرات بالبيت ذليلاً خاضعاً لله سبحانه وتعالى منكسراً لجنابه ؛ يقول: ((ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار))، وهؤلاء يقولون الولي مقامه أكبر من أن يطوف بالبيت، بل البيت هو الذي يطوف به!! ولهذا في أحد كتب الفقه المشهورة عُقدت مسألة في كتاب الصلاة مبنية على هذه الخرافة، قالوا إذا ذهب الكعبة تطوف بالأولياء إلى أين يصلي الناس ؟ قال: لأهل العلم في هذه المسألة قولان: القول الأول: يصلُّون إلى مكانها الأصلي ، ولأن متابعة الكعبة إلى أين ذهبت هذا أمر غير مستطاع ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

والقول الثاني: قال يلزمهم أن يبحثوا أين ذهبت؟ إن كانت في أفريقيا فالصلاة إلى أفريقيا، وإن كانت في الهند فالصلاة إلى الهند ، وهكذا يتابعونها في كل فرض، قال قولان في المسألة، هذا مبني على خرافة هؤلاء وضلالهم في ما يعتقدونه في الأولياء.

فلاحظ أن ترك الطاعة والذل لله سبحانه وتعالى أُدخل تحت ماذا؟ نوع من الكرامة للولي ، وأيضاً ما يدّعونهُ للأولياء أنهم يصلون إلى مرحلة تسقط عنهم التكاليف، ويتلون في ذلك قول الله تعالى : ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى

يَأْتِيكَ الْيَقِينُ ﴿[الحجر: ٩٩]﴾ يعني إذا وصل إلى درجة اليقين، واليقين يفسرونه بدرجة في مراتب السلوك عندهم إذا وصلوها توقف لا يصلي ولا يصوم ولا يؤدي لله طاعة لأنه من أولياء الله .

وفي باب ترك النواهي أيضًا يمارسون النواهي والمعاصي والحرمات باسم الولاية، ومن ذلكم الزنا والفواحش يمارسونها باسم الولاية، وقرأت عن هؤلاء في كتب الأخبار القديمة وسمعت من بعض الناس في زماننا هذا، هذا موجود في بعض المناطق يقولون أن المريد -التلميذ الذي عند الشيخ المدعى فيه الولاية- ليلة زواجه يأتي بزوجه إلى الولي ويطلب من الشيخ أن يخلو بها وأن يفتض بكارتها بنفسه من أجل البركة والنسل ، فتدخل عند الشيخ ويزني بها الزنا الذي حرمه الله جل وعلا ويفتض بكارتها ثم تخرج من عنده ، ثم يرتقي هذا التلميذ على قدمي الشيخ يقبلها، يشكره على هذا الإحسان العظيم!، يقبل قدميه لأنه زنا بزوجه وافتض بكارتها، انتهاك للأعراض وأكل لأموال الناس بالباطل تحت اسم الكرامة والولاية ، وترك للطاعات والعبادات ، وفعل للفجور والمنكرات ؛ وكل ذلك يدخلونه تحت كرامة الأولياء، وأن هؤلاء أولياء الله.

فإذا جاء بهذه الآية سواء قصد بالأولياء هؤلاء المجرمين ، أو قصد بالأولياء الصالحين، سواء قصد هؤلاء أو هؤلاء وتلا الآية: ﴿الْإِنِّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ؛ تقول له : أولياء الله المقصودون بهذه الآية لا من يعينهم هؤلاء من المبطل لا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما أخبر الله، وهم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ كما نعتهم الله سبحانه وتعالى بذلك ووصفهم.

قل له: نعم أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، هذا حق نُقر بذلك ؛ لكن لا يُعبدون، يعني مهما علت مكانة الشخص في الدين والعبادة والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى هذا ليس مبررًا أن يُجعل ندًا لله ، وقد أنكر النبي عليه الصلاة والسلام ما هو دون ذلك، أنكر ألفاظًا لم تُقصد حقائقها، سمع رجلاً يقول: "ما شاء الله وشئت" فغضب وقال: ((أجعلني لله ندًا بل ما شاء الله وحده، أو قل ما شاء الله وحده)) ، في لفظٍ قاله هذا القائل، فأنكره النبي عليه الصلاة والسلام وغضب أشد الغضب!! .

قال: «ولكن لا يُعبدون» لأن العبادة حق لله ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥] ، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] ، ﴿وَأَنْتَ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الحج: ١٨] ، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] ، فالعبادة حق لله جل وعلا لا شريك له فيها لا ملكٌ مقرب ولا نبيٌ مرسل.

قال: «ونحن لا ننكر إلا عبادتهم مع الله» ؛ نحن لا ننكر مكانة الأولياء، ولا ننكر فضل الأولياء ، ولا ننكر أيضًا كرامات الأولياء ، لا ننكر ذلك لكن ننكر عبادتهم مع الله، أن يُجعل الولي ند لله ، يُذبح له كما يذبح لله، ويُندر له كما ينذر لله، ويدعى ويستغاث به كما يدعى الله ويستغاث به.

قال: «ونحن لا ننكر إلا عبادتهم مع الله وإشراكهم معه» أي جعلهم شركاء مع الله سبحانه وتعالى .

«وإلا فالواجب عليك حبهم واتباعهم والإقرار بكراماتهم» وهنا يشير رحمه الله إلى الوسطية التي عليها أهل السنة في الأولياء بين الغلو والجفاء، الغلو طَرَفٌ سَلَكَه من رفع الأولياء فوق منازلهم فأعطاهم من الخصائص والحقوق ما ليس إلا لله تبارك وتعالى، والجفاء فيمن أنكر مقام الأولياء وقدر الأولياء وحق الأولياء وفضل الأولياء وجفا في حق الأولياء، والوسط قَوَامٌ بين ذلك، ولهذا قرر رحمه الله الوسطية بقوله : «نحن لا ننكر إلا عبادتهم» لأن عبادتهم غلو، اتخاذهم شركاء مع الله غلو في الأولياء. «وإلا فالواجب عليك حبهم واتباعهم والإقرار بكراماتهم» حبهم واتباعهم والإقرار بكراماتهم تركه جفاء، فعقيدة أهل السنة في هذا الباب وسط بين الغلو والجفاء، الغلو ممن رفع الأولياء فوق أقدارهم ومنازلهم وأعطاهم من الخصائص والحقوق ما ليس إلا لله، والجفاء من جحد فضائلهم ومكانتهم ومنزلتهم.

قال: «ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع».

قال: «ودين الله وسط بين طرفين وهدى بين ضاللتين وحق بين باطلين»؛ لاحظنا الوسطية عند أهل السنة في الأولياء، أيضاً الوسطية عند أهل السنة في كرامات الأولياء. كرامات الأولياء الناس فيها أقسامٌ ثلاثة:

❖ قسم غلوا في الكرامة غلواً شنيعاً؛ وأشرت إلى شيء من نماذج الغلو في كرامات الأولياء ، حيث عدّ بعضهم من كرامات الأولياء ترك طاعة الله وفعل ما حرم الله ؛ هذا غلو.

❖ وقسم جفا في باب الكرامة فجحدها وأنكرها ، مثل المعتزلة جحدوا كرامات الأولياء وأنكروها. وهذا جفاء .

❖ والحق قوام بين ذلك؛ أن ثبت للأولياء الكرامة بدون غلو ولا جفاء.

وقد ألفت محاضرة قبل قرابة خمسة عشرة سنة بعنوان: «كرامات الأولياء بين الغلو والجفاء»، وذكرت فيها نماذج كثيرة من إسفاف الطُرُقِية والمبطلّة في هذا الباب، وما يزعمون أنه من كرامات الأولياء؛ ركام من الأباطيل وأنواع الأضاليل كلها أدخلوها وزجّوا بها في باب كرامات الأولياء، حتى فعل الفواحش كما أشرت، وهذا يذكرونه في كتب الكرامات، أشياء من أسوء ما يكون وأشنع ما يكون وأقبح ما يكون، ونقلت نقول كثيرة من كتبهم موثقة.

قال: «ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلالات»

قال: «ودين الله وسط بين طرفين» طرف الغلو وطرف الجفاء ، وخير الأمور أوساطها لا تفريطها ولا إفراطها، خير الأمور أوساطها، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، لا تفريطها ولا إفراطها، لا تفريط ولا إفراط، «وهدى بين ضاللتين» ضلالة من غلا وضلالة من جفا، «وحق بين باطلين» باطل المُفْرِطِين والمُفْرِطِين، وبهذه يكون رحمه الله ذكر هذه الشبهة وأجاب عليها.

هذا الموضع الذي قرأناه اليوم، هذا ساقط من بعض النسخ، بدءاً من قوله: «فإن قال أنهم لم يكفروا بدعاء الملائكة» إلى قوله «وحق بين باطلين» هذا ساقط من بعض النسخ، بل من عدد من النسخ المطبوعة وموجود في

الطبعة السلفية، أو مطبوع في المطبعة السلفية وعنها أخذ في عدة طبعات، وأشار المحقق أنه وجد هذا في نسخة خطية معاصرة للشيخ رحمه الله تعالى .

قال رحمه الله تعالى :

فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد هو الشرك الذي نزل فيه القرآن وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عليه فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين ؛ أحدهما : أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُه فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ ائْتَدَّ عَنْهُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧] وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٠) بَلْ إِلَهُهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠-٤١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَنَّعَ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٨] ، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان : ٣٢]، فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعون الله تعالى ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له وينسون سادتهم؛ تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهما جيدا راسخا والله المستعان.

الأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناسا مُقَرَّبِينَ عند الله، إما أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة أو يدعون أحجارا أو أشجارا مطيعة لله ليست عاصية، وأهل زماننا يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس ، والذين يدعوهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقه وترك الصلاة وغير ذلك، والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويُشَهِد به .

ثم قال رحمه الله تعالى: «فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا، الاعتقاد هو الشرك، الذي نزل فيه القرآن، وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عليه، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين» قوله رحمه الله «الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد» يعني الاعتقاد في الأولياء ، والاعتقاد في

من لهم جاه أو مكانة أو نحو ذلك، ويقولون إن المتقرب إلى الولي بالندى أو الذبح أو نحو ذلك كلما قوي اعتقاده فيه نفعا ودفعاً ونحو ذلك حصل له مطلوبه؛ ولهذا يبررون من لم يحصل مقصوده بدعاء الولي يقول هذا من ضعف اعتقادك في الولي! وإلا لو كان اعتقادك فيه كما ينبغي وكما يليق بمقام الولي لحصلت مقصودك، فيسمون هذا التعلق بالأولياء «الاعتقاد»، وحقيقته الشرك بالله عز وجل وصرف العبادة والذل والخضوع والرجاء والانكسار لغيره سبحانه وتعالى.

قال: «إذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد هو الشرك الذي نزل فيه القرآن وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عليه، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين؛ شرك الأولين: أي المشركين الذين قاتلهم رسول الله عليه الصلاة والسلام شرك هؤلاء أخف من شرك هؤلاء بأمرين، ويعني ذلك أن شرك الآخرين أغلظ من شرك أولئك بأمرين.

قال: «أحدهما: أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء» يعني في السعة واليسر والراحة والأمن والطمأنينة والصحة والعافية، في مثل هذه الحال يشركون يتخذون مع الله الشركاء من الملائكة والأنبياء والأصنام والأحجار وغير ذلك، «وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء»، يعني حال الشدة والكربات والدواهي العظام التي تنزل بهم ينسون ما يشركون، ولا تأتي في أذهانهم أصلاً ينسونه، بل لا يكون منهم إلا الإخلاص، ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكَ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]؛ فشرك الأولين في الرخاء دون الشدة، لأن الشدة حالهم فيها هو حال الإخلاص كما قال الله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكَ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي لا يدعون معه آلهة أخرى ولا يتعلقون بغيره ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ يعني دعاؤهم له خالصاً صافياً لا يدعون معه غيره، وإذا نجوا نجاهم إلى البر يعودون إلى الشرك ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

قال: وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾ يعني الشدة وعابنتم الغرق والموت ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ يعني يذهب عنكم وعن أفكاركم وعن عقولكم من تدعون إلا إياه ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ هذا يفيد أنهم في حال الرخاء يدعون الله ويدعون غيره، لكنهم في حال الشدة والكربات يذهب عنهم كل من كانوا يدعونه من دون الله، ويخلصون الدعاء لله سبحانه وتعالى: ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضُوا وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَهَؤُلَاءِ﴾ هذا ذكره الله سبحانه وتعالى بعد ذكره لمنه على عباده بنعمة الفلك، قال: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ

كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٦٦) وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ ﴿ والمراد هنا المشركين ﴾ ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ ، يعني عدتم إلى الشرك والتعلق بغير الله واتخاذ الأنداد والشركاء ، ﴿أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا﴾ .

أنظر بيان الله سبحانه وتعالى لبطلان ما عليه هؤلاء وفساد عقائد هؤلاء بالتعلق بغير الله ، قال: ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا﴾ (٦٧) ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْصِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ يعني الآن أنتم نجوتم من الشدة التي عاينتموها في البحر ولجأتم إلى الله سبحانه وتعالى مخلصين فنجاكم إلى البر ، ثم لما وصلتم إلى البر عدتم إلى الشرك تنادون غير الله وتستغيثون بغير الله وتصرفون العبادة لغير الله ، ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْصِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ هذه العودة منكم إلى الشرك هل أمنتم أن يخسف بكم جانب البر مثل ما عاينتم موتاً في البحر! ألا تخشون أن يأتيكم الموت وأنتم في البر؟ ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْصِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ هذا نوع من العقوبة التي يُتَوَقَّعُ أن تنزل ولا عاصم منها إلا الله سبحانه ، كما أنهم لا عاصم لهم من الغرق إلا الله سبحانه وتعالى ، قال: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْصِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ﴾ هذا أمر آخر في البر أيضاً ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ حاصباً : أي ريح شديدة تحمل الحصباء فتهلككم وأنتم في البر ، هذان نوعان من الهلاك ، وأنواع الهلاك التي تكون على الناس في البر كثيرة جداً ولكن هذان نوعان. ثم أمر آخر ثالث: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى﴾ هل تأمنون أن يعيدكم تارة أخرى في البحر لحاجة من الحاجات ومقصد من المقاصد في يوم من الأيام القادمة ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغَرِّقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْكُمْ نَجِيًّا﴾ [الإسراء: ٦٩] ، فأنتم في حاجة إلى الله سبحانه وتعالى في الشدة والرخاء.

الشاهد أن المشركين الأول كانوا يشركون في الرخاء دون الشدة ، أما المشركون في الأزمنة المتأخرة يشركون في الحالين في الرخاء والشدة ، ويتعلقون بالأولياء في الرخاء والشدة ، وإذا عاينوا الغرق في وسط البحر يهتف كل من هؤلاء بشيخه "الحقني يا فلان أدركني يا فلان" ، ولو كان معهم أبو جهل لخطأهم وقال لهم هذا وقت شدة ما فيه إلا إخلاص ﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] ، ففي الفلك أيضاً يستغيثون: "يا شيخ فلان، أدركني يا فلان، الحقني يا فلان" ، لماذا يا إخوان؟ لماذا هؤلاء الجهال الطغام المضللين لماذا؟ لأنه عُرس في نفوسهم من وقت مبكر التعلق بالأولياء حتى في مثل هذه الحالات ، وحكوا لهم مسبقاً قصصاً وحكايات أن الولي إذا هتفت به وأنت في البحر خلّصك من الشدة، ويروون في ذلك كرامات ، ولهذا في أحد

كتب هؤلاء المشهورة في الكرامات، كتابًا مطبوع باسم «كرامات الأولياء» وعدد نماذج كثيرة من كرامات الأولياء، قال في إحدى الكرامات في ترجمة رجل يقول: سيدنا الشيخ علي - قال كان من كراماته أنه إذا جاءه رجل غريب عن البلدة، ومعه حمارة قال له امسك لي رأسها حتى أفعل بها؛ يقول له الولي! يقول امسك لي رأسها حتى أفعل بها، فإن مسك رأسها ليفعل بها أصبح الغريب في حرج أمام الناس يمسك الحمارة لهذا يفعل بها، وإن امتنع، الحمارة تتسمر في مكانها ما تمشي! هذا الآن مذكور في كرامات الأولياء، قالوا: إن الشيخ علي فعل ذلك - انظر الآن الكرامة التي تغرس في نفوس أولئك الشرك في الرخاء والشدة - قال إن الشيخ علي لما فعل بالحمارة، ما فعل بها من أجل الفاحشة! قالوا لا، في سفينة في البحر مخروقة فهو رتق فتق السفينة، لما فعل بالحمارة رتق الفتق الذي في السفينة، ونجا الناس الذين في السفينة من الغرق! الله أكبر يكبرون، ثم إذا ركبوا في السفينة يهتفون به حتى يفعل بحمارة أخرى فترتق السفينة وينجون من الغرق! مهازل ومصائب وكوارث وجناية على العقول على العوام على الجهال، جناية من أعظم الجنايات، ثم يمشي العوام والجهال في شرك عظيم وفي ضلال مبين يمثل هذه الحكايات الملققة والقصص التي يروج به الباطل.

فمثل هذه القصة وأمثالها هي التي تجعل هؤلاء يشركون في الرخاء وفي الشدة، ولهذا مما قرأت أن شيخًا كان في سفينة وعابنت السفينة الغرق - قرأتها في إحدى حواشي الكتب - لشيخًا في سفينة وعابنت في السفينة الغرق، فأصبح كل يهتف بشيخه "أدركني يا فلان، الحقني يا فلان"، ما وجد منهم واحد يقول يا الله! فمد يديه ورفعها؛ قال: يا الله يا رب أغرق أغرق! ما على السفينة من يعبدك! يعني ليس على ظهر السفينة من يعبدك كلهم يعبدون غيرك ويلتجئون إلى غيرك. فإذا هذا شرك أغلظ من شرك المشركين. ومثل هؤلاء - كما قدّمت - لو كان معهم في السفينة أبو لهب أو أبو جهل أو غيرهم من أساطين الكفر لأنكروا عليهم، قالوا لا هذا وقت إخلاص! ما فيه إلا الإخلاص، خلّوا هؤلاء إذا خرجنا إلى البر أما الآن لا، أخلصوا، ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

فإذا هذا يدل على أن شرك المتأخرين أغلظ من شرك أولئك من هذه الناحية، والشيخ رحمه الله أورد جملة من الآيات تقرر ذلك بدأها بهذه الآية من سورة الإسراء، ثم قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٠) ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ يعني أنكم أيها المشركون في مثل هذه الحالات لا تدعون إلا إياه ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ أي وحده دون شريك، ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ فيكشف ما تدعون إليه ﴿إِنْ شَاءَ وَنَسْؤُنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ يعني في الشدائد ينسى المشرك الأنداد والشركاء ويخلص لله تبارك وتعالى، أما المتأخرين ففي الشدائد لا ينسون ما يشركون بل بهم يتعلقون وإليهم يلتجئون وعليهم يتوكلون.

قال : «وقال تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ » أي هذا وصفٌ لحال المشرك، أي أنه في حال ضرائه لا يدعو ولا يلجأ إلا إلى الله سبحانه وتعالى .

قال : «إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَنَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٨] » .

وأورد أيضا قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَافُظٌ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ ، وأيضا قول الله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت : ٦٥] ؛ هذه كلها تقرر أن المشركين الأول كانوا يشركون في الرخاء دون الشدة ، بخلاف هؤلاء فإنهم يشركون في الرخاء وفي الشدة.

قال رحمه الله: «فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعون الله تعالى ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له، وينسون ساداتهم تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين»، ما الفرق بين شرك المتأخرين وشرك الأولين الذي يشير إليه الشيخ رحمه الله؟ أن أولئك كانوا يشركون في الرخاء دون الشدة، وهؤلاء يشركون في الشدة والرخاء ، وما من شك أن من يشرك في الشدة والرخاء أغلظ ممن يشرك في الرخاء دون الشدة .

«ولكن» أنظر ألم الشيخ رحمه الله وأسفه: «ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهما جيدا راسخا!!»، أين هو؟ «والله المستعان» ؛ فالشيخ رحمه الله يأسف لحال يراها ويقرر ذلك نُصْحًا للناس ومَعذرة إلى الله سبحانه وتعالى. و يمثل هذا النصح العظيم هدى الله خلقًا، وأخرجهم الله سبحانه وتعالى من الظلمات إلى النور ببركات هذه الدعوة الناصحة الصالحة لكتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

قال الأمر الثاني: «أن الأولين -يعني المشركين الأولين- يدعون مع الله أناسًا مُقَرَّبِينَ عند الله إما أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة، أو يدعون أحجارًا أو أشجارًا مطيعة لله ليست عاصية» ؛ هذا شركهم .

«وأهل زماننا يدعون مع الله أناسًا من أفسق الناس، والذين يدعوهم هم الذين يحكون عنهم» يعني في كتب الأخبار وفي كتب التراجم، هم أنفسهم «هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة» مثل الذي يفعل بالحمارة هذا يعدونه من كراماته ومن موجبات التعلق به من دون الله، واتخاذ قبره وثنا يُعبد من دون الله، ولهذا يذكرون في تراجم من يتعلقون بهم أشياء عندما تقرأها أنت صاحب الحق الذي من الله عليك بالهداية تعرف أن هذا مُضِل، يعني يذكرون عن شخص قبره الآن من أكبر القبور التي تُعبد وتُقصد ويذبح لها وينذر، يذكرون عنه أنه ما كان يشهد الصلاة في الجماعة، وذكروا أيضًا في ترجمته أنه دخل مرة واحدة المسجد وبال فيه، ويذكرون أشياء في ترجمته وأخبار ولما مات عملوا له قبة وضريح! وبالآلاف المؤلفات يقصدون قبره متعلقين وداعين وذابحين وإلى آخر ذلك، وكانوا يلقبونه أبو اللثامين السطوحي ، أبو اللثامين قالوا أنه جلس تقريبًا اثنا عشر سنة فوق

سطح البيت ما نزل أبداً، فوق السطح وملتئم المدة هذه الطويلة كلها ملتئم، وقالوا إنه مُتَلْتَمَّ لحكمة، قالوا لأنه لو كشف وجهه لأحرق نور وجهه من يراه. ومثل الأمور هذه بدأ العوام يأتون قبره وضريحه زرافات ووحدانا، حتى إن أحد الكبار ألف كتاباً في مناقبه قال: "ولم أخرج هذا الكتاب حتى أتيت قبره واستأذنته وأذن لي أن أطبع الكتاب"! أشياء مؤلمة ومؤسفة، والمسلم يحمد الله على العافية، الحمد لله الذي عافانا مما ابتلاهم به وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً، ولولا منة الله علينا بهذه الهداية وهذا التوحيد وهذه الكتب التي نقرأها ونتعلمها، لكان الأمر آخر ، لكن هذا فضل الله سبحانه وتعالى.

قال رحمه الله : «الأمر الثاني: أن الأولياء يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله إما أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة أو يدعون أحجاراً أو أشجاراً مطيعة لله ليست عاصية ، وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم» انتبه لقوله «هم الذين يحكون عنهم» يعني ليس خصومهم الذين يحكون عنهم، ولكن هم الذين يحكون عنهم أموراً هي من الفجور والزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك يحكونها عنهم في كتبهم هُـم ؛ كتب الكرامات كتب الأولياء يحكون عنهم الزنا ، يحكون عنهم فعل الفواحش، يحكون عنهم تتبع المردان، يحكون عنهم فعل المحرمات ترك الصلاة ترك الطواف ، كل هذه يذكرونها في كتب الكرامات وفي مناقب الأولياء، فانتبه لقوله رحمه الله تعالى «الذين يحكون عنهم» ما قال نحكي أو يُحكى، قال «يحكون» أي هؤلاء الذين يتعلقون بهم ويعتقدون فيهم . «يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك» وكل هذه الأشياء التي تسمعها الزنا السرقة ترك الصلاة وأعمال أخرى منكرة أكثر من ذلك، كلها تذكر في مناقب الأولياء! وتذكر في كرامات الأولياء عند القوم. قال: «وغير ذلك» .

قال: «والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي مثل شجرة أو حجر أهون مَن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويُشهد به» ؛ كل من الأمرين شرك، لكن هذا أهون من هذا، وإلا كله شرك، وكله موجب للنار وسخط الجبار ، لكن هذا أهون من ذلك، والنفوس لها شيء من المحبة للصالحين والمعرفة لأقدار الصالحين، فرمى أن الإنسان من هذا الباب مع سوء فهم وقلة علم وبصيرة ربما عظم الصالحين تعظيماً لا يليق إلا بالله، لكن أن يعظم هؤلاء الفسقة الفجرة أهل الفواحش أهل المنكرات، ويُصرف لهم من الحقوق والخصائص ما ليس إلا لله تبارك وتعالى!! فهذا لا شك أن مثل هذا العمل أغلظ من شرك المشركين الأول، كل من الشِّرْكَيْنِ غليظ، لكن هذا أغلظ من هذا.

فإذا هذان أمران يتبين من خلالهما : أن شرك المتأخرين أغلظ من شرك المتقدمين.

أمراً ثالث: وهو أن المتقدمين شركهم في الألوهية، أما الربوبية وخصائص الربوبية لا يعطونها للأصنام ومن يعبدونهم ، لا يقولون عنها إنها تخلق، ولا يقولون ترزق، ولا يقولون تحيي ولا تميت ولا تدبر الأمر، لا يقولون ذلك، ولا يعطونها خصائص الله في أسمائه تبارك وتعالى وصفاته. والمشركون المتأخرون كما أنهم يشركون في الألوهية أيضاً

يشركون في الربوبية، ويعتقدون في الولي من التصرف والتدبير ما ليس إلا لله تبارك وتعالى ، ولهذا أحد كبار المخرفين المضلين في عصرنا سمعته في شريط له يقول : الولي يخلق، من قال لكم أن الذي لا يخلق إلا الله، قال: الولي يخلق، قال : والقرآن دلّ على ذلك! قال: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، قال : هذا دليل على أنه فيه خالقين مع الله، وقال : أن الولي يستطيع أن يخلق الجنين في رحم الأم، ولكنهم لا يفعلون ذلك من أجل أن لا تختلط الأنساب، فقط لهذا وإلا يستطيعون. ويذكرون في أحد كتب هؤلاء أن أحد الأولياء المزعمين كان متزوجاً من امرأة وصفوها بأنها شريفة، وتزوج عليها امرأة فلاحه فقيرة، فغضبت الشريفة لماذا يأخذ عليها فلاحه وهي لها مكانة وشريفة!! فغضبت وطلبت الانفصال منه، وكانت حاملاً منه في الشهر السادس، قال لها إذا ما تتركين هذه المطالبة سوف أنقل الجنين من رحمك إلى رحم الزوجة الجديدة! فأبت ، قالوا فنقل الجنين يعني أمر الجنين أن ينتقل من رحمها إلى رحم الزوجة الجديدة وولدت الزوجة الجديدة الفلاحه بعد ثلاث شهور ، هذه كلها أبو جهل لو سمعها ينكرها ، أبو جهل لو سمع هذا الكلام قال هذا منكر، ربما يقول لهم: { كبرت كلمة تخرج من أفواهكم }، هذا كلام منكر ما يقال ، ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾ ^{الله} [نجم: ٢٥] ، ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ﴾ ^{الله} [الزخرف: ٨٧] ؛ فهذا من الأمور التي تدل على أن شرك المتأخرين أغلظ، وهذا الجاهل ما فهم الآية ولا فهم معنى دلالة هذا الاسم «الخالقين» ، وإلا لو كان يعرف معناه ويفهم دلالاته لما قال هذا القول المنكر، القول الذي لم يصل إليه المشركون الأول، المشركون الأول ما كانوا يعتقدون مثل هذه العقائد في الأصنام والأوثان والأولياء ومن يدعوهم من دون الله.

وأمر رابع وهو: أن المشركين الأول كانوا يفهمون معنى «لا إله إلا الله» وأنها تعني إخلاص العبادة لله، ولما قال لهم النبي عليه الصلاة والسلام ((قولوا لا إله الا الله تفلحوا)) قالوا ﴿أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ﴾ ^{عُجَابٌ} [ص: ٥٠] . والمشركون المتأخرون لم يفهموا «لا إله إلا الله»، وإذا قيل لهم ما معنى لا إله إلا الله ؟ فسروها في الربوبية فقط، قالوا معناها لا خالق إلا الله، أو لا رازق إلا الله ، أو لا مانع ولا معطي إلا الله .

فهذه وجوه أربعة تدل على أن شرك المتأخرين أغلظ.

ونكتفي بهذا .

وصلّى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين .